(٢)

بنو تميم فى سماء العروبة

فى عالم الميتيات

للأستاذ عبد العزيز مزروع الأزهرى
المدرس بالمدارس الثانوية

---

(١) تثنية الذى والتى (٢) الأسماء التى على وزن فعـــال علما لمؤنث (٣) رأى بنى تميم فى ضبط (أمس) (٤) العددان : (٢) و (١٠) عندهم (٥) سهو المرحوم حفنى بك ناصف (٦) إدغام المضارع المضعف وهلم

---

(١) [المظهر العاشر] مما تختلف فيه لهجة قومى بنى تميم عن لهجة بقية العرب مثنى الذى والتى (فبنو تميم) ومعهم (قيس) يعمدون إلى النون فى (اللذين واللتين) فيشددونها مكسورة، فاذا كان بعض القراء يقرأ قوله تعالى : « واللذان يأتيانها منكم ... » بكسر النون المخففة فان قومى وحلفاءهم يقرءونها واللذان يأتيانها منكم بتشديدها مكسورة ، وهذه توافق لهجتهم .

ومثل (اللذان) فى هذا (اللتان) فى محل نصب أو جر أو رفع إلا أنهما إذا كانتا فى محل نصب أو جر تكسر الياء فيهما كما تكسر النون مشددة.

وكأنهم شددوا النون فى كل حالة ، تعويضا عن الحرف المحذوف وهو الياء التى كانت فى الذى والتى ، وفتحوا (الذال) فى اللذين ، (والتاء) فى اللتين ولم يبقوهما على الكسر كما كانتا فى المفرد لتوكيد الفرق بين مثنى المعرب ومثنى المبنى .

هل لهذا نظير فى لغة العرب ؟ نعم فان العرب إذا صغروا (الذى) (والتى) قالوا : (اللذيا) و (اللتيا) بفتح اللامين كما كانتا قبل التصغير ،

ولو كانت (اللذان واللتان) معربتين ، وصغرتا لضم أولهما . هذا فرق

وفرق آخر وهو أنهم فى تصغير هاتين الكلمتين زادا ألفا فى الآخر لتوكيد الفرق بين تصغير المعرب وتصغير المبنى ، لأن زيادتهما كتعويض عن الضم الذى تركوه عمدا ، ليتضح الفرق بين التصغيرين .

وإلى لهجة بنى تميم وقيس مال ابن مالك : (والنون إن تشدد فلا ملامه)

(٢) [المظهر الحادى عشر] لهجتهم فى الأسماء التى على وزن (فعال) علما لمؤنث

ومما يدعو إلى العجب أنهم لم يسووا بين ماختم بالراء مثل (سفار) وماختم بغيرها مثل (قطام) فالمختوم بالراء يتفق فى النطق به (الحجازيون) و (أكثر بنى تميم) فيبنونه على الكسر

أما المختوم بغير الراء مثل (قطام) و (حذام) و (يهان) فان سحب الخلاف تتلبد مرة أخرى بين الفريقين (فقومى) يعربونها ويمنعونها من الصرف ، و (الحجازيون) يبنونها على الكسر كما فعلوا فى كل ما كان على على هذا الوزن المؤنث ، وعليه ورد قول (لجيم بن صعب) فى امرأته :

إذا قالت (حذام) فصدقوها فان القول ماقالت (حذام)

بم علل النحويون لهجتهم ؟ وقد علل النحويون هذه اللهجة فى النوعين بأن أى اسم منهما يشبه باسم فعل الأمر (نزال) فى التعريف ، والعدل ، والوزن ، والتأنيث ، ولست بصدد مافى هذا التشبيه من ضعف ، إنما الذى يهمنى هو الدافع لبنى تميم إلى هذه التفرقة الغريبة

[رأيى] إن النظرة الخاطفة ترينا أن فى التفرقة بين (حزام) و (وبار) نوعا من التناقض ، إذ كان التنسيق يحتم أن يعرب النوعان عندهم ممنوعين من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوى كما هو مذهب المبرد ، ويرجحه أن النحويين لايدعون العدل - كما هو مذهب سيبويه - فى نحو طوى ! فلم جعلوا مثل (قطام) قسما ، ومثل (وبار) قسما آخر ! ولم بنى أكثرهم القسم الثانى على الكسر دون القسم الأول ! يقول الخليل مدافعا عنهم فى بنائهم مثل (وبار)

على الكسر : إن السبب فى هذا أن مذهبهم الأمالة ، فاذا كسروا توصلوا إليها ! ولو منعوه الصرف لامتنعت ! فياعجبا كل العجب !! إذا كان الأمر كذلك فلم لم يرعوا مثل هذا التعليل والحكم فى مثل (قطام) !

أكان حراما عليهم أن يميلوها ! وإذا كانوا يميلونها فلم لم يبنوها على الكسر ! وكيف يميلون ما ليس بمكسور !

[رأيى] يخيل لى أن أول ما صادفهم على وزن فعال مختوما بالراء كان لفظ (شفار) وهى بئر قبل (ذى قار) لبنى مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم ، وأن عثورهم على هذا الاسم كان قبل سماعهم (ظفار) و (وبار) لأن (سفار) فى أرضهم ، ومن آبارهم فى مهجرهم بالعراق ! و (ظفار) و (وبار) فى بلاد اليمن ، وعندما أرادوا المنطق به وجدوا فرقا بين مسماه ومسمى قطام وحذام ، إذ سار فى قاع الأرض وأسفلها ، وقطام وحذام فوق سطحها من ناحية ، وسفار جماد لا يتحرك ، وقطام وحذام كائن حى يتحرك ، ويعتريه مايعترى الكائنات الحية من التغير والتبدل ، فالبناء يناسب (سفار) لا قطام وحذام ، واختيار الكسر له بدل الضم أو الفتح يشير إلى مقره وكينونته فى أسفل الأرض لا فوقها ، أما قطام وحذام ومايشبههما فيناسبه الاعراب ، لما يعتريه من تغير ويقع من الصرف على رأى سيبويه للعلمية والعدل ، وعلى رأى المبرد ، لأنه علم لمؤنث ، أما غير سفار مما ختم براء وغير قطام مما لم يختم بها فقد قاسوه عليهما . ومراعاة المعانى والمقار عند الوضع له نظائر لدى العرب ، وحسبى أن أذكر مثالين : (الأول) أنهم كسروا العين فى (عنان) الدابه وفتحوها فى (عنان) السماء ، لأن الفتح يناسب الأعلى والكسر يناسب الأسفل (والثانى) أنهم راعوا فى (الجنازة) مقرها ، فاذا أرادوا الميت فتحوا الجيم ، وإذا أرادوا الخشبة كسروها للفرق بين موضع كل من الآخر ، ومثلهما (الصبا) فهم إذا أرادوا الريح فتحوا الصاد ، وإذا

أرادوا الميل أو إحدى مراحل العمر كسروها ، ولا شك أن الريح أعلى موضعا منهما .

ومن سنن العرب أنهم قد يراعون اختلاف المعنى ، فيغايرون بين ضبط أواخر الكلمات ، كما يغايرون بين شكل أوائلها ، وكنا نعلم أن الشيء قد يحمل على ضده كما يحمل على نظيره ، مثل (الجون) فانه يطلق على الأبيض والأسود ، و (الجلل) يطلق على الصغير والكبير و (الصارخ) على المستغيث والمغيث ...

إن كتب اللغة مشحونة بما يدل على هذا ، ولو كان المجال يتسع لأطنبت ومع ذلك فان ما كان من الأسماء على وزن (فعال) لمؤنث نال حظا من عناية الباحثين قديما وحديثا ، وحسبنا أن (الصغاني ألف فيه تأليفا مستقلا أورد فيه ١٣٠ لفظا كلها مبنى على الكسر في رأى كثير من العرب بعضها اسم فعل أمر ، أو أسماء مواضع . . .

(٣) [المظهر الثاني عشر] من مظاهر الكلمات المبنية التي لبني تميم مذهب فيها (أمس)

فالمشهور عند النحاة أنها تبنى على الكسر في أي مواقعها وهي لغة الحجازيين وعليها ورد قول أسقف نجران :

اليوم أعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه (أمس)

فأمس فاعل للفعل مضى وهو مكسور تبعا للقافية على شرط أن يكون مرادا به اليوم الذي يليه يومك ولم يضف ، ولم يقرن بأل ، ولم يصغر أو يكسر ، ولم يقع ظرفا

أما (بنو تميم) فأقلهم يمنع صرفه مطلقا رفعا ونصبا وجرا لأنه معدول عن الأمس ، كما علله بعض النحاة .

فاذا سمعت الحجازيين يقولون : مضى (أمس) وعددت (أمس) ومارأيته من (أمس) بكسر الجميع

فهؤلاء يقولونه معربا ممنوعا من الصرف : مضى (أمس) وعددت (أمس) ومارأيته من (أمس)

وشاهدهم :

لقد رأيت عجبا مذ (أمسا) عجائزا مثل السعالى خمسا

فأمس مجرور بالفتحة واتصلت به ألف الاطلاق

أما الكثرة الكاثرة منهم فقد زعم صاحب التصريح متابعا لصاحب التوضيح أنهم يبنونه فى حالتى النصب والجر : ويعربونه ممنوعا من الصرف فى حالة الرفع فقط : ولم يمر بى فى حياتى الطويلة اسم منصرف فى الجر والنصب !! ممنوع من الصرف فى الرفع : ولا اسم معرب ٣٣,٣ ٪ ومبنى ٦٦,٦ ٪

[رأيى] فاذا كان أحد من أساتذتى أو إخوتى ورصفائى عثر على شىء من هذا فليدلنى عليه لأتبرع لمجاهدى فلسطين باسمه بمائة جنيه مصرى لاسورى ! إذ أن دراستى العميقة لآثار قومى تبيح لى دعواى أن أكثريتهم تبنى أمس على الكسر فى كل الحالات شأن أكثر العرب .

(٤) [العددان (٢) و (١٠)] وهما المظهر الثالث عشر من مظاهر الاختلاف بين لهجة بنى تميم ولهجة غيرهم :

رأى قومى فى النطق بالحرف (ؤ) رأى (أرستقراطى) فهم يقولون ثنتان فى اثنتين التى كان ينطق بها جمهور العرب فى الجاهلية ؛ أما رأى (الحجازيين) فهو رأى (ديمقراطى) لأنهم ينطقون بها (اثنتين) بهمزة الوصل

[رأيى] ويظهر أن الحجازيين قاسوا اثنتين على (اثنين) للمثنى المذكر ، وعندى أن كلتا القبيلتين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

أما خلط الحجازيين فلأن الاثنين ضعف الواحد وأصله (ثنى) ومثناه المؤنث ثنتان فلم أتوا بهمزة الوصل !! وأما خلط بنى تميم فلأنهم انضموا إلى غيرهم من بقية العرب فقالوا فى المثنى المذكر اثنان بهمزة الوصل ، فكأنهم عثروا عثرة الحجازيين بزيادة هذه الهمزة فى (اثنين) ولو قالوا ثنيان للمذكر المثنى كما قالوا (ثنتان) للمؤنث المثنى لكان الانسجام واضحا والاعتراض ساقطا

والعدد الثانى (١٠) المختومة بالتاء ، فالحجازيون ينطقون بها ساكنة الشين، كراهة توالى عدة حركات فيما هو كالكلمة الواحدة . أما (بنو تميم) فافترقوا فى ضبطها إلى ثلاث فرق :

(الفرقة الأولى) وهى الكبرى تكسر شينها ، وقد علل النحاة هذا تعليلا مضحكا لأنهم قالوا : إن الشين كسرت تشبيها بكسر التاء فى (كتف) !! [وسيأتى تعقيبى على هذا الرأى] .

(والفرقة الثانية) تفتح شينها تخفيفا ، أو أيضا . على أصلها من الفتح و (الفرقة الثالثة) تسكن شينها إذا ركبت كأحد عشر ، احترازا من توالى المتحركات ، وهذه اللهجة شائعة فى مصر العليا ، فهى أثر آخر لبنى تميم والاحظ أن فى (كتف) غير لغة فهى بكسر التاء على وزن فرح، أو بإسكانها على وزن حقل ولو قالوا تفرح لامتنعت أخف الاعتراضات عليه !! ولم أختار النحاة لفظة كتف وليست على وزن عشرة ، ولو قالوا كجزعة أو عسرة، وما شابههما لكان أشبه بالحق . والصواب عندى أن من كسروا شين عشرة من قومى قصدوا أن يدفعوا ثقلا جلبه توالى عدة فتحات، فكسروا لأن الكسر أخف الحركات هنا.

(٥) [سهو المرحوم حفنى بك ناصف] سها ـ غفر الله له ـ فى قراءة (يزيد بن القعقاع) التى نسبت فى المحتسب للأعمش ، فجعلها بكسر الشين ، وهى بفتحها فى قوله تعالى : (فانفجرت منه اثنتا عشره عينا) وقد سها فى جعله (بهراء إحدى قبائل بنى تميم مع أنها من قضاعة ، فهى يمانية [1] . والله وحده هو المنزه عن السهو والخطأ (وقد يكون مع المستعجل الزلل)

[المظهر الرابع عشر] (إدغام المضارع المضعف) ، وهلم .

المضارع المضعف نحو، يمس ويرد ، جميع العرب تبقى الادغام على حاله إذ لا موجب لفكه وكذلك يبقى إدغامه لو دخل عليه جازم نحو (لم يمسهم)

(١) تجد هاتين الهنتين فى رسالته النفسية « مميزات لغة العرب » التى كانت من مراجعى فى هذا البحث .

سوء وهنا يجب تحريك التشديد بحركة لدفع التقاء الساكنين .

أما (الحجازيون) فيفكون إدغامه إذا سبق بجازم نحو لم يردد السيف إلى قرابه، ولم أعثر فى القرآن فى قراءة حفص المتداولة فى مصر الإعلى مايؤيد لهجة الحجازيين فى نحو قوله تعالى « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ونحو

« وما كان لنبى أن يغل » و (من يغلل) يأت بما غل يوم القيامة » .

كذلك يدغم بنو تميم كلمة (هلم) ويتبعهم فى هذا الادغام جميع العرب، لأنها عندهم فعل أمر بدليل تأثرها بالضمائر البارزة نحو هلما ياهذان ، وهلموا ياهؤلاء فالانسجام واضح بين الكلمتين فى لهجتهم. أما (الحجازيون) فهى عندهم اسم فعل أمر بمعنى (احضره فى المتعدى) (وبمعنى رأيت فى اللازم) لهذا تلزم الإدغام مع الضمائر. ومن عجب أن يجرى التنزيل بلهجتهم فى نحو « هلم شهداءكم . . . » ويخفف وقع هذا نوعا على نفسى أن المصريين ، وكثيرا من العرب فى الأقطار الشقيقة تميميون فى نطقها وما ذلك إلا لأنها أسهل نطقا ، وأرشق استعمالا ، فلهجتهم لهجة (ديمقراطية) أما لهجة الحجازيين فلهجة الخاصة ، وحسبك منى هذا المشوار فالى اللقاء .